أهميــة المسجد ببعـديه العمرانــي والروحــي
فــي تنميــة العلاقــات الاجتماعيــة

د. جويدة مقاتلي

جامعة البليدة 2

ملخــص

هناك العديد من الدراسات التي بيّنت ما للفضاء المشترك من أهمية في إنشاء العلاقات الاجتماعية وتنميتها، والمسجد من أهّم المؤسسات الاجتماعية التي تمنح الأفراد فضاءات يجتمعون فيها خمس مرات يوميا لتأدية شعائرهم التعّبدية التي تقتصر أحيانا على شعيرة الصلاة وتتجاوزها أحيانا أخرى إلى شعائر عديدة كحلقات الذكر والعلم والتفّقه أو نشاطات خيرية تحمل بعدا روحيا وآخر اجتماعيا يعكس منهجا ربانيا في حماية العلاقات الاجتماعية من خلال مبدأي التكافل الاجتماعي والتعاطف.

من هذا المنطلق يهدف هذا المقال إلى تحديد مفهوم العلاقات الاجتماعية في المسجد بإظهار البعد الاجتماعي للشعائر التعبدية في المسجد من جهة، ثم إبراز ما لبعض العناصر المعمارية للمسجد من أهمية في تنمية العلاقات الاجتماعية، هذه العناصر المعمارية التي أهملتها العمارة الحديثة.

الكلمات المفتاحية: المسجد، العناصر المعمارية، البعد الروحي والاجتماعي لشعيرة الصلاة، العلاقات الاجتماعية.

Résumé

Nombreuse sont les études qui ont démontré l'impact des espaces commun sur la promotion des relations sociales, et la mosquée est l'une de ces structures sociales où se rassemblent les musulmans cinq fois par jour pour accomplir leur rites spirituels, des rites comme la prière, la lecture, l'explication et le commentaire du Coran, ou alors des activités caritatives qui portent un aspect spirituel et social qui reflète une conception divine de la relation sociale à travers ses deux composantes a savoir l'empathie et la solidarité sociale.

Dans ce contexte, cet article vise à définir le concept de la relation sociale au sein de la mosquée en mettant l'accent sur la dimension sociale des rites spirituels et

en démontrant l'impact de certains éléments architecturaux sur le développement des relations sociales, ces éléments qui sont négligés par l'architecture moderne.

Mots clés : la mosquée, éléments architecturaux, la dimension spirituelle,.et sociales de la prière, les relations sociales.

مقدمة

إن الأصل في العلاقات الاجتماعية أنها علاقات شخصية بينية تنشأ بين شخصين من خلال الصلة المتبادلة نتيجة لتأثير أحدهما على الآخر وتأثره به، وكما تكون بين الأفراد فهي تقوم أيضا بين الفرد والجماعة وبين الجماعات فيما بينها أيضا، لذا يعد التأثر والتأثير أو ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي أساس العلاقات الاجتماعية التي لا تتم إلا من خلال عملية الاتصال المتمثلة في الكلمة المنطوقة أو المكتوبة أو من خلال الحركات التعبيرية للجسم، هذا وتشير نظريات التفاعل الاجتماعي إلى أهمية الحب والمودة والتعاطف والمساندة لتشكيل الشبكة الاجتماعية للفرد، ويعني هذا أن يكون الأفراد على اتصال مستمر وأن يتشاركوا في القيم والاهتمامات والاتجاهات.

يعد المسجد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تعزز هذا الجانب التفاعلي بين الأفراد، بتوفير فضاءات واسعة تستقطب وفود المصلين وتصبغ علاقاتهم بصبغة روحية منبعها الكتاب والسنة.

1- تعريف العلاقات الاجتماعية

ومن الباحثين.(R.D. Putnam) من يعرف العلاقات الاجتماعية برأس المال الاجتماعي، ومنهم من من يُضمن العلاقات فب الرابط الاجتماعي بحيث تيرى أن الرابط في معناه العام يرجعنا إلى تلك العلاقة التي يقيمها الفرد مع ذاته ومع الآخرين (أقرانه) ثمَ مع الأشياء من المحيط (Bouguergoura Cherif ,2008, p12)، ومنهم من يعتبرها درجة التعاون والتبادل والثَقة التي يتصَف بها مجتمع ما". ,P.Yves Cusset , 2007) (p47، أما عبد العزيز خواجة (2007) فهو يميّز بين العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي باعتبار العلاقة هي الصلة التَي تربط شخصين أو أكثر، أمَا التفاعل فهو التغيَر الذي ينشأ في هذه الصَلة من خلال التأثير والتأثَر المتبادل، فكلَ إشارة تتحوَل إلى استجابة وكلَ استجابة إلى إشارة وهكذا على نحو متناوب يتكوَن التفاعل.

إنَ تتابع الأفعال الاجتماعية الصغرى بين الأطراف المتفاعلة أو التي تدخل مع بعضها في علاقة تفاعل، والتي تحمل الكلمات والعبارات والإشارات معاني مشتركة فيما بينها، فإنَ هذه الأفعال الجزئية تشكَل ما نطلق عليه تفاعلا اجتماعيا بسيطا أو تفاعل الوجه لوجه على نحو ما ذهب إليه أنصار الاتجاه الفينومينولوجي في علم الاجتماع. (انكلز، اليكس، 1978 ، ص144)

بهذا التفاعل البسيط يدخل الفاعل في علاقة مع الآخر الذي يتفاعل معه، ومن مجموع هذه التفاعلات تتكوَن العلاقات الاجتماعية، وبذلك تكون العلاقات الاجتماعية في أبسط صورها شرط لقيام التفاعل الاجتماعي، وفي أعقد صورها تتكوَن من مجموعات التفاعل الاجتماعي، وربما كانت تلك اللزومية والمصاهرة القائمة بين التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية السَر وراء من تحدَثوا على التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية وكأَنهما وجهين لعملة واحدة تتمثَل في الفعل الاجتماعي(السيد علي شتا، 2000، ص39)

إنَ قيام العلاقة بين طرفي التفاعل المباشر مشروط بحضور طرفي التفاعل وإدراك كلَ منهما لحضور الآخر، كما هو مشروط أيضا بوعي الآخر بحضوره كفاعل، وأنَهما يفكَران في بعضهما كفاعلين، وأنَهما يقبلان بعضهما كفاعلين بمعنى توَفر الإدراك المتبادل والقبول المتبادل، وأن يكون طرفي العلاقة أيضا في وضع يسمح لهما باستقبال المعلومات المتعلقة بخبرة بعضهما وتأويلها حول موضوع التفاعل.

الأمر الذي أكده "ليت" (TH.Litt) بقوله أنَ المجموعة هي التعبير الواضح لما أسماه "تبادل المدركات" بمعنى لا يوجد فرد معزول وأنَ كل فرد عبارة عن مركز للحياة، فهو مركز لمحورين أو أكثر، محور أو محاور الذوات التي يدركها ومحوره هو، وهذا ما يعبَر عنه "ليت" باسم "تجربة الذات"، فالإنسان يدخل في التجربة الاجتماعية بمجرد أن يدخل في مجال تفكيره شخصا آخر، وهذه التجربة هي أساس العلاقات الاجتماعية، إذ أن ظاهرة تبادل المدركات هي التي تربط بين فردين أو أكثر(حسن شحاتة سعفان، 1955، ص39).

2- العوامل المساعدة على خلق العلاقات الاجتماعية

لقد أصبح تحدَي النفسانيين الاجتماعيين هو فهم ما يربط الناس بعضهم ببعض وبالتالي معرفة الصفات التَي يبحث عنها الأشخاص لدى أصدقائهم أو أقاربهم ولاحظوا أنَ هذا مربوط بالجاذبية بين الأشخاص.

صنّف الباحثان "جيرجان"(M.Gergen & J.Gergen) خمسة عوامل قد تلعب دورا هاما في تطوير علاقة ما، وهي كما يلي:

*** القرب الفيزيائي**

بينَت الدراسات أنَه كلما قلَت المسافة الجغرافية كلما ازدادت العلاقات المبينة على التقارب، وقد اهتم النفسانيون الاجتماعيون بالعمليات الكامنة وراء مفعول التقارب، فالمسافة تؤثَر على الجاذبية لعدَة أسباب منها مفعول السهولة أي سهولة الالتقاء، ثمَ مفعول الألفة الذي يتحقق بتكرار فرص الالتقاء.

***المظهر الخارجي**

كثيرة هي البحوث التَي بينَت أنَ جمال الجسم له تأثير قوَي على الناس، لكن ما الذي يجعل الشخص جميل في أعين الآخرين، إنَ شخصية الناس يمكن أن تؤثَر على إدراك الآخرين لجمالهم إذا اتصف شخص بكونه "ودَي، نشط، مساعد، خيّر، وهادئ"، فإنَ تقييم جاذبيته الجسمية تزداد، ومن جهة أخرى يلاحظ أنَ الجاذبية للشخص شيء متقلَب يزداد أو يتراجع حسب الظروف الاجتماعية.

*** التشابه**

وجد "بيرن" (Byrne) وزملاؤه أن تزايد التشابه في الرأي يؤثر في الجاذبية فكلما كانت الاتجاهات متشابهة بين الأشخاص، كلما ازدادت جاذبيتهم نحو بعضهم البعض.

*** التكامل**

غالبا ما يبحث الناس عن من يختلفون عنهم أو من يكملونهم في بعض الجوانب فإذا كنت ذا شخصية سائدة مثلا تنجذب أكثر نحو شخص ذا شخصية متنحية.

*** التقدير الإيجابي**

لا أحد يعارض ما للابتسامة الدافئة والنظرة المهتمة والكلمات المشجعة من قوة على خلق مشاعر الانجذاب.

***الحصول على المعلومات والرغبة في الانتماء**

هناك وضعيتان بالتحديد تشجعان على تطوير الجاذبية، أن تكون الحاجة إلى المعلومات كبيرة. ومن يبحث عن هذه المعلومات عليه أن يقّدر من يمنحها وأن يثق فيه.

من خلال هذه المعطيات يظهر أن المعلومات تؤدى إلى الانتماء، كّلما قدّم أحد خدمة ما، تنشأ بينه وبين المنتفع بها نوع من الانتماء. (Mary M.Gergen et Kenneth J.Gergen, 1984, p76.-95)

3- أبعـاد العلاقـات الاجتماعيـة

لقد أثبتت العديد من الدراسات ارتباط العلاقات الاجتماعية ببعض التفاعلات يمكننا تحديد أهممها من خلال ما يلي:

3- 1 المساندة الاجتماعية

يرى "ليبرمان" (Liberman 1982) أنَ "المساندة الاجتماعية مفهوم أضيق بكثير من مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية، حيث تعتمد المساندة الاجتماعية في تقديرها على إدراك الأفراد لشبكاتهم الاجتماعية باعتبارها الأطر التي تشمل أولئك الأفراد الذين يثقون فيهم، ويستندون على علاقاتهم بهم."(علي عبد السلام، 2005 ، ص8)

وعرفها "موس" (Moss) بأنها: " الشعور الذاتي بالانتماء والقبول والحب والشعور بأنَ الأفراد محتاجون إليه لشخصه وليس من أجل ما يستطيع أن يفعله(حسين عزت عبد الحميد محمد، 1996، ص15).

بينما يؤكد كل من الشناوي وعبد الرحمان في تعريفهما للمساندة الاجتماعية على أنَها "تلك العلاقات القائمة بين الفرد والآخرين والتي يدركها على أنَها يمكن أن تعاضده عندما يحتاج اليها(الشناوي وعبد الرحمان، 1994 ، ص4)

وكان تعريف "كاترونا" (Cutrona) على أنَها: "إشباع الحاجيات الأساسية للفرد من حب واحترام وتقدير وتفهَم وتواصل وتعاطف ومشاركة الاهتمامات وتقديم النصيحة وتقديم المعلومات، وذلك من الأشخاص ذوي الأهمية في حياة الفرد، خاصة وقت حدوث الأزمات أو الضغوط "(Cutrona, 1996, p10).

أمَا حسين عزت فيعرفها بأنَها: " مشاركة المشاعر، الإنصات، الاستماع، والمعونة المالية وتقديم الاقتراحات والمساعدة في الأعمال الخفيفة. (حسين عزت عبد الحميد، مرجع سابق، ص 16)

بهذا نستخلص أنَ المساندة الاجتماعية تحمل معاني وجدانية كمشاعر الحب والتعاطف ومعاني معنوية نفسية كالتقدير والتفهم والقبول والانتماء، إلى جانب معاني التواصل كتقديم المعلومات وإسداء النصيحة والاقتراحات، فضلا عن معنى المساعدات المادية المالية.

*** أهمية المساندة الاجتماعية في بناء العاقات الاجتماعية**

أكد الباحثون على أهمية المساندة الاجتماعية في بناء العلاقات الاجتماعية بحيث يعتبر "سكوارزر" و"وينر" (Schwarzer & Weiner) أنَ المساندة الاجتماعية هي إحدى العوامل التي تساعد على تقوية السلوكيات المرغوبة لدى الفرد، وإحداث التوافق بكافة أشكاله، ولاسيما التوافق الاجتماعي بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها، فهي تقي الفرد من القلق والضغوط الاجتماعية واللوم والإحساس بالأسف والندم الناتج عن بعض الأخطاء التي قد يرتكبها(عبد العال السيد، 2002: 306).

كما يرى سرازون: "أنَ مجرد إدراك الفرد لوجود أفراد يهتّمون به ويساعدونه عند احتياجه لذلك يعتبر مخفّفا للضغوط والظروف التَي قد يتعرَض لها الإنسان في حياته. (حسين فايد، 1998، ص162)

من جهته يرى هاوس وآخرون، أنَ الأفراد الذين يتمتعون بعلاقات تمكنّهم من الحصول على المساندة الاجتماعية تقَل لديهم درجة الشعور بالقلق ويكونون أقل عرضة للاضطرابات النفسية وذلك من خلال إحساس الفرد بقيمته وأهميته في شبكة علاقاته الاجتماعية(House & al, 1988, p304).

أما دراسات "بركمان" (Berkman) و"سايمس" (Symes) فقد كشفقت "أنَ شبكة العلاقات الاجتماعية التي تدعم المريض تساهم بقدر كبير في علاجه، وتعجَل مراحل شفائه من مرضه(علي عبد السلام علي، 2005، ص16).

2-3 التعاطف

اختلف الباحثون السيكولوجيون في تقديم تعريف موَحد لمعنى التعاطف أو المشاركة الوجدانية وتمييزه عن باقي المفاهيم كالعدوى الاجتماعية والتأثير الاجتماعي وغيرها من المفاهيم، ونحن في هذا الصدد نقدَم جملة من التعاريف تحدَد لنا معنى التعاطف.

عرفت إفلين لوبرون (Evelyne Lepron,2009 , p33) التعاطف على أنه القدرة على الشعور وفهم ما يشعر به الآخرون، دون خلط مع الذات. وهذا التعريف كما أشارت إليه الباحثة يستلزم سياقات مرتبطة بالتعاطف وهي الاشتراك في التَصورات مع الآخرين، وتبّنى وجهة نظر الآخر والتمييز بين الذات والآخر.

كما يرى تشنير (E.B. Titchner) أن التعاطف ينبع من الشعور بمعاناة الآخر، باستحضار مشاعر الآخر نفسها إلى داخل المتعاطف نفسه، ويطلق عليه بعض الباحثين: مصطلح المشاركة الوجدانية والمشاركة الانفعالية. (بشير معمرية،2009: 34).

أما باتسون وشاو (Batson & Shaw, p1991) فيعرفان التعاطف على أنه استجابة انفعالية تتميز ببعض المشاعر مثل الشفقة (Compassion) والحنّو (Tendresse)، ورقة القلب، ويحدث هذا التعاطف من خلال تبّني منظور الآخر على التعاقب حيث يقوم الشخص المتأثر بتبّني وجهة نظر الشخص الآخر الذي يعاني متاعب معينة، ويحدث تبني المنظور من خلال ادراك الارتباط الانفعالي في حالات القرابة والصداقة والألفة والتشابه مع الشخص الآخر. (معتز سيد عبد الله ،2001، ص100)

*** التعاطف بعد تفاعلي للعلاقات الاجتماعية**

بالنسبة لبعض المؤلفين فإنَ دور التعاطف هو أحد صفاته الرئيسية وتعريفه يؤكد على أنَ التعاطف سياق انفعالي يؤدي إلى سلوكيات واستجابات تعاطفية تجاه الآخرين تخدم التفاعلات الاجتماعية، بحيث يؤكَد "فلاوو" أنَ التعلق المرتبط بالحب هو منبع العلاقات الإنسانية [...] وبالفعل فإنَ الرباط الإنساني بمعنى التعلق يفضي إلى تبعية لا بمدلولها النفعي البسيط بل إلى تلك التي تصل إلى قلب الكائن البشري(F. Flahault, 2008, p308).

أمَا "جوفمان" (Goffman) فهو يشير إلى تأثير الحواجز التي من شأنها الحيلولة دون ذلك الرباط بحيث يقول:" إذا أراد شخصان أن يجتمعان من خلال أي رباط اجتماعي عليهما التنازل على بعض الحدود والحواجز التي تفرّقهما عادة، بالفعل فإن التنازل عن هذه الحواجز هو بمثابة الرمز المركزي وجوهر العلاقة، كما أنَ فعل التنازل عنها لأوَل مرَة هو بمثابة العلامة المركزية لتكوين العلاقة(J.Y Dartiguenave, 2012 , p 52-55).

إنَ مقدرتنا على المشاركة وفهم الحالات الانفعالية والعاطفية للآخرين والشعور بدافعية موَجهة نحو راحتهم تلعب دورا هامَا في التفاعلات الاجتماعية (J.Decety, 2010, p183).

وبهذا فإنَ معادلة التعاطف مع الروابط الاجتماعية هي واضحة بمعنى أنَ التعاطف يمثَل القوة الخفية التي تربط بين الناس في المجتمع(Kirshner.Lewi.A, 2004, p803).

3-3 الاتصـــال

أجمع الباحثون على أنَ الاتصال الاجتماعي، ضرورة اجتماعية ونفسية لحياة الأفراد والمجتمعات، هذه الحياة الاجتماعية التي لا تقوم إلَا من خلال تواصل الأفراد في علاقات متفاعلة، بحيث يلعب الاتصال دورا مهما في تقوية أواصر العلاقات بين الأفراد والجماعات وتوطيد النسيج الاجتماعي.

بهذا نرى أنَ التواصل يشير إلى علاقة متبادلة بين الطرفين أو بتعبير آخر يشير إلى انفتاح الذات على الآخر في علاقة حيَة لا تنقطع حتى تعود من جديد ومن هنا فإنَ عملية التواصل هي أساس العلاقات الإنسانية والتفاهم الإنساني، وهي العملية التي يتمَ بمقتضاها تكوين العلاقات الإنسانية وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والتجارب فيما بينهم. (عصام سليمان الموسى، 1998، ص48)

*** مظاهـر الاتصـال**

إنَ الطبيعة الإنسانية تتيح لنا التعبير عبر أشكال يمكن إجمالها في ثلاث:

*** الاتصال اللَفضي:** وهو الطريقة الأكثر استعمالا والذي يتمَ فيه تبادل المعلومات بين المتَصل والمتصل به شفهيا عن طريق الكلمات المنطوقة لا المكتوبة، ويعتبر هذا الأسلوب أقصر الطرق لتبادل المعلومات والأفكار وأكثرها سهولة، فهو يستعمل في الحديث اليومي وأثناء مزاولة العمل...إلخ، ومن مميزاته أنَه يساعد على توضيح الرَسالة عن طريق الحوار المستمر.

يرى " موسكوفيسي " أنَ الاتصال هو مركز الأداء والكفاءة الاجتماعية، بحيث تكون أغلب الحركات والإشارات لفظية وتدمج في تسلسل حواري، إنَ أبسط معنى يجب أن يفهمه المتلقي هو أنَه " فعل لفظي" وعامل سلوكي يهدف إلى التأثير في الآخر، فالترميز يستوجب فكا متوقعا (Serge.Moscovici, 2000, p95).

*** الاتصال المكتوب:** يتَم الاتصال المكتوب بأشكال كثيرة ومتعدَدة من الكتابات والمطبوعات وقد لاحظ "سوسير" أنَ للكتابة فوائدا وعيوبا وأخطارا متزامنة جميعا ولكنَه كان ينظر إليها باعتبارها نوعا من مكملات الكلام الشفهي(عز الدين الزياتي،2008، ص 16).

الاتصال غير اللفظي: يعتقد علماء النفس بأن أكثر من 75% من تصرفات البشر تتم بصورة لا ارادية وأن 25% الباقية تكون إرادية، والتصرفات غير الإرادية غالبا ما تكون غير لفظية أي عن طريق الايماءات، أو الايحاءات، أو الرموز، وهي ذات تأثير أقوى بخمس مرات من ذلك التأثير الذي تتركه الكلمات(وليمز، سوزان دينس، 2008، ص 13).

يمكن أن يُظهر الاتصال غير اللّفضي الأفكار والمشاعر والمقاصد الحقيقية لشخص ما، ولذلك يشار في بعض الأحيان للسلوكيات غير اللفظية بأنّها تصريحات لأنّها تخبرنا عن الحالة العقلية الحقيقية للشخص(نافارو. جو، 2010، ص 14).

بهذا يكون الاتصال غير اللفضي عبارة عن إشارات وحركات إرادية وغير إرادية تصدر من الجسم بأكمله أو بجزء منه لإرسال رسالة انفعالية إلى المحيطين بالإنسان، من خلال فروع ومفردات تتمثّل في لغات الوجه، والصوت، والأصابع واليدين، واللمس، والوضعية وحركات الجسم، والمظهر والألوان، والمسافات والفراغ المكاني، والعلاقات الرمزية لاستخدام الوقت(ابراهيم أبو عرقوب، 1993، ص122).

أمّا "موسكوفيسي" فهو يرى أنّ الاتصال غير اللفظي هو طريقة لتقديم الذات (Presentation de soi) بحيث يرمي السلوك إلى التأثير في الطريقة التي يدركنا بها الآخر، إنّ تقديم الذات بطريقة غير لفظية قد تكون هي الأهم كاللباس وغيره من المظاهر الخارجية، اللّهجة، الأسلوب اللّفظي...إلخ، إنّ مثل هذه الإشارات قد تنجح في إيصال بعض الانطباعات عنّا كانتمائنا إلى طبقة اجتماعية أو جماعة ما أو أن لنا شخصية وأفكار سياسية معينة. (Serge.Moscovici, 2000, p98)

*** أهمية الاتصال في بناء العلاقات الاجتماعية**

إنّ كّل جماعة إنسانية باختلاف حجمها تتوافر ضرورة على عامل الاتصال وكلّما قلّ بين أفرادها قل التفاعل بالتوازي، بحيث يقتضي هذا الاتصال وجود مثير واستجابة، مرسل ومستقبل يجري من خلالهما تشكيل نظام شعوري ولا شعوري مشترك ينمّط استجابات الأفراد ويحدّد الاستجابات المرغوبة والمرفوضة اجتماعيا(عبد العزيز خواجة،2007، ص47)

يستخدم مصطلح علاقات بالمعنى الذي حدّده "هولمز" باعتباره يشير إلى "المواقف" التي يستخدمها الناس كّل منهم إزاء الآخر(Howells, 1968) ومصطلح "العلاقات" يتميّز

مفهوميا عن مصطلح "اتصال" على الرغم من أن المصطلحين يعتمد كل منهما وظيفيا على الآخر، لأن المواقف التي يتخذها الناس كل منهم نحو الآخر تتأثر بالضرورة بنوع المعنى الذي يضعونه معا، وفي نفس الوقت فإن نوع المعنى الذي يضعونه يعتمد إلى حدّ كبير على نوع العلاقات التي يقيمونها أو التي يرغبون في إقامتها (Siebung,1985) وبهذا يكون مصطلح العلاقة أكثر تشبعا بعوامل المعنى والعاطفة والتوجه العقلي من مصطلح الاتصال(علاء الدين كفافي، 1999، ص121). غير أنَ من الباحثين من يرى أنَه يمكننا النظر إلى العلاقة على أنَها إنجاز من إنجازات التواصل(عدنان يوسف العتوم وآخرون، 2011، ص 45).

4- التصور الإسلامي للعلاقات الاجتماعية

يصّنف محمود البستاني(1994، ص 55 ،62) العلاقات الاجتماعية وفق المنظور الإسلامي إلى ثلاثة أنواع من العلاقات هي: العلاقات مع السماء، والعلاقات بين البشر ثم العلاقات البيئية، وما يهّمنا في هذا المقام هو النوع الأول والثاني من العلاقات:

*** العلاقة بين السماء والإنسان**

إن علاقة الإنسان بالسماء أو العلاقة التوظيفية تعني أن الإنسان يمارس (وظيفة عبادية) قد خُلق من أجلها تمّشيا مع الحقيقة القائلة {ما خلقت الجّن والإنس إلّا ليعبدون} بمعنى أنّ البشر يمارسون سلوكا "وظيفيا" هو العمل العبادي وفي ضوء هذا، على الإنسان أن يمارس فعلا داخليا هو القيمة العبادية أيّ أن يرسم لكّل فعل (معنى) أو (هدفا) عباديا، بحيث يوّظفه من أجل الله تعالى، مهما كان الفعل سواء ممارسة شعائرية كالصلاة أو ممارسة اجتماعية كمساعدة الفقراء، أو فعلا عاديا كالأكل والنوم الخ، وبهذا يصبح هادفا. كما تنشطر الأفعال الهادفة إلى شطرين:

- فردية: وتتمّثل في علاقة مباشرة مع الله تعالى يمكن تسميتها (بالعلاقة الشعائرية أو الطقسية) مثل الصلاة والصوم والحج....الخ، أو الأكل والنوم فيما يخّص الفعل العادي.

- الفعل الاجتماعي: ويعني إقامة علاقة مع الآخرين، وهي مترّتبة على العلاقة الأولى أيّ إقامة علاقات اجتماعية (كالعائلة أو الصداقة أو الدولة...الخ).وفي ضوء هذه الحقيقة لا تكتسب العلاقات الاجتماعية مشروعيتها ما لم تركن إلى علاقة سابقة عليها هي علاقة الإنسان بالله تعالى ويترّتب عن هذا أن الفعل يكتسب أهميته بقدر خضوعه للمعايير العبادية

وليس بقدر حجمه الاجتماعي، أيّ قد يكتسب الفعل الاجتماعي المحدود جدا في حجم علاقاته، يكتسب أهمية ضخمة (مساعدة فقير، أو زيارة مريض).

***العلاقات البشرية**

بالرّغم من أنّ السماء رسمت علاقات خاصة بين البشر (كالعلاقات العائلية والقرابية والرفقية...الخ) إلّا أنّها طالبت بأن تكون أمثلة هذه العلاقات من أجل الله تعالى وهذا يعني أن البشر حينما يقيمون علاقات مع بعضهم، بالرغم من أن هذه العلاقات ينتفعون بها دنيويا، إلّا أنّها مسبوقة بعلاقة رئيسية مع الله تعالى،.والمعطى الاجتماعي لمثل هذه العلاقات يتمّثل في كون هذه العلاقات تفضي بالضرورة إلى تحقيق التوازن العبادي والدنيوي بمستوياته الكمالية، فعندما يحّس الجميع بأنّهم مطالبون بإقامة علاقات عاطفية واقتصادية وسياسية من أجل الله تعالى حينئذ لا تتدّخل أيّة عناصر (ذاتية) في صياغة هذه العلاقات بصفة تحمل الانسان إمّا على إقامة علاقات نفعية لا تأخذ مصالح الطرف الآخر بعين الاعتبار وإمّا على عدم إقامة أيّة علاقة فيما بين الطرفين، وفي الحالتين تُحدث أمثلة هذا السلوك صدعا في البنيان الاجتماعي دون أدنى شك، ففي صعيد العلاقات الأولية حينما يقدم البشر على التزاور فيما بينهم من أجل الله تعالى دون أن يفّكر أحدهم بمصلحة (ذاتية) حينئذ يتسّبب مثل هذا السلوك في توثيق أواصر العلاقة وذلك من خلال إدراك الطرف الآخر بنظافة الدوافع لدى الطرف الأول، كما أن كلا الطرفين يتدّرب على ممارسة العلاقات الغيرية أيّ الإيثارية، مّما يفضي في النهاية إلى إحكام شبكة العلاقات العامة بين البشر في صعيد علاقاتهم الأولية وبهذا تكون "العلاقة الرئيسية" بين الإنسان والله هي العنصر الفاعل في صياغة العلاقة البشرية.

5- التأثير المتبادل بين البيئة العمرانية والسلوك الإنساني

يرى حسن فهمي (2001) أن البيئة العمرانية بالنسبة للإنسان كالقوقعة بالنسبة للحلزون فهي تشكل جسمه في داخلها حسب شكلها، وهي هذا الشكل الذي يفرزه الحيوان نفسه بمعنى أن البيئة المادية (العمرانية) يمكن أن تؤثر على الإنسان وتسهم في تغيّره كما يشكلها هو وفقا لاحتياجاته وسلوكه.

يتم هذا التأثير المتبادل من خلال عمليات ثلاث لخّصها باهر اسماعيل فرحات (2007، ص93-94) فيما يلي:

أ- العمليات المرتبطة بالإدراك وفهم البيئة المبنية(المادية)

وفي هذه العملية يدرك الإنسان بحواسه خصائص البيئة المبنية المحيطة به كما يتعرف عليها ويعرف المقصود بها. وتختّص عملية الإدراك باستقبال المعلومات من البيئة

المبنية المحيطة والتي ترتبط باحتياجات الإنسان وقدراته على المعرفة وإدراك عناصر معينة من البيئة بينما لا يهتم بخصائص أخرى. أمّا بالنسبة للمعرفة فإنها عملية تتضمن التذكر والتركيز والشعور والتي من خلالها يتنبأ الفرد بالأنشطة التي يمكن أن يمارسها في مكان ما، كما إنها تتحكم في العمليات السلوكية الناتجة عن المثيرات البصرية للبيئة المبنية، وتتأثر عملية الإدراك والمعرفة بطبيعة الفرد وقدراته وخبراته السابقة والإطار الاجتماعي والثقافي والمادي للبيئة المحيطة.

ب- العمليات المرتبطة بالسلوك والأفعال

وهي عمليات مرتبطة بالعلاقة المتبادلة بين البيئة المبنية وسلوك الأشخاص وهي مرتبطة بالأفعال وردود الأفعال كما إنها عملية إرسال للاستجابات السلوكية للإنسان ومنها الاستجابات للسلوك الفراغي والذي من خلاله يتّم تحديد المسافات والإحساس بالفراغات وأشكالها وأحجامها، كذلك استجابة الأفراد للمشكلات المرتبطة بالبيئة المبنية من ضوضاء وتلوث، وترتبط الاستجابات السلوكية للإنسان أيضا بعوامل تتعلق بالفرد وخصائصه الاجتماعية والثقافية.

ج- العمليات المرتبطة بالتقييم

وهي عمليات تقييم لخصائص البيئة المبنية وتحديد مدى ملاءمتها لاحتياجات الأفراد والأنشطة والأهداف المرجوة منها، كما تشمل على تقييم لسلوك الفرد وتفاعله مع البيئة المبنية المحيطة(باهر اسماعيل فرحات، 1999، ص94).

شكل رقم 5: العلاقة بين الأنشطة الذهنية والسلوكية وتأثيرها في فهم البيئة والتعامل معها

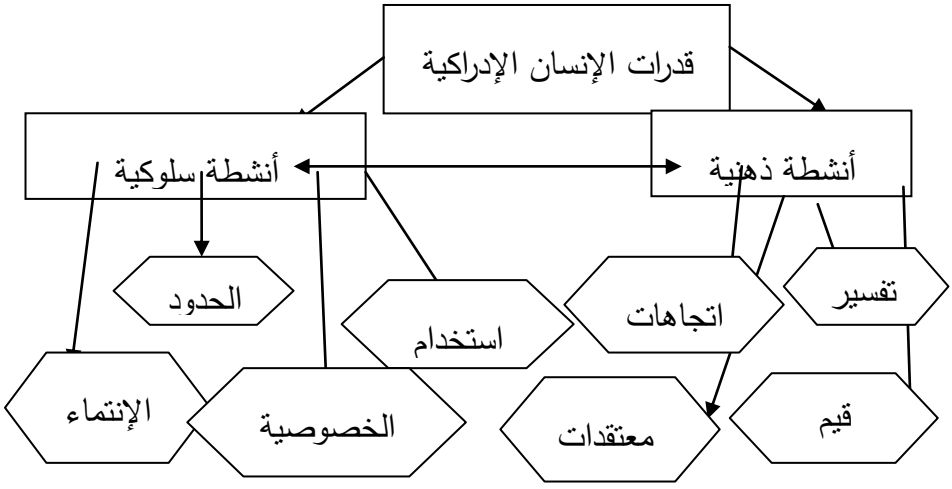

من خلال ما تقدم يمكننا أن نستنتج أن المسجد كفراغ عمراني يشكّل سلوك الفرد وفقا لما تمليه عناصره المعمارية وما تمنحه فراغاته من فضاءات تحوي نشاط إنساني مميّز وتفاعلات سلوكية وما توحيه العناصر الزخرفية للمسجد من تصورات مكّونة لاتجاهات تحمل موروثا اجتماعيا وثقافيا وعقائديا.

6- المسجـد عمــارة اجتماعية

لقد كان للعديد من الباحثين العرب والمستشرقين خاصة دراسات وصفية للعمائر الدينية لاسيما المساجد منها لما في ذلك من أهمية فائقة في ترسيخ تلك الصورة للأثر المعماري وبقائه خالدا خاصة إذا كان هذا المعمار يمثل هوّية المجتمع وذاكرته الحية، فالعمارة كما يقول توفيق حمد الجواد(1986، ص7) "هي المرآة الصادقة التى تعكس ثقافة الشعب ونهضته وتطوره، وهي التاريخ الصحيح الذي لا يخدع ولا يكذب". والمسجد من هذا المنظور هو أبرز معلم في المدينة الإسلامية، وقلبها النابض الذي تدور حوله كل النشاطات الاجتماعية.

إن بساطة العقيدة الإسلامية قد أثرت تأثيرا بالغا في نشأة وتطّور عمارة المسجد النبوي فجاء بسيطا من حيث التخطيط والعمارة بحيث أصبح بعد تحّول القبلة من بيت المقدس يعتمد على العناصر الرئيسية التالية:

ــ جدار القبلة وهو قاعدة التخطيط ومحوره الأساسي.
ــ بيت الصلاة هو أهّم بناء في المسجد بحيث يتصدره، وطوله بموازاة جدار القبلة أكبر من طوله فى الاتجاه الآخر.
ــ يتوسط المسجد ساحة مكشوفة (صحن) فسيحة ويطّل عليها بيت الصلاة ويستمّد منها الضوء والهواء
ــ يحيط بالصحن مؤخرة ومجنبات وهي عبارة عن ممرات مسقوفة، الهدف منها حماية الناس من حرارة الشمس صيفا والمطر شتاء. (كامل حيدر،1995، ص122)

بهذا كان المسجد النبوي هو النموذج الأول الذي اقتدي به فـي تصميم المساجد الجامعة الأولى وهي أربعة: مسجد البصرة في 635 م، ومسجد الكوفة في 636 م ومسجد الفسطاط سنة 642 م ثم مسجد القيروان سنة 675 م وهو أعرق مساجد الغرب الإسلامي.

إن ما يدفعنا إلى الإشارة إلى تصميم المسجد النبوي الموقف الذي اتخذه بعض المشتشرقين ومن حذى حذوهم من الباحثين العرب الذين تجاهلوا كون هذا التصميم من صحن وظلة للقبلة على هذا النحو يعّد تصميما جديدا يتفق وطبيعة المرحلة التي مرت بها الدعوة والدولة الإسلامية في ذلك الوقت من جهة وإلى العوامل البيئية من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس كان نموذجا موّحدا لتصاميم المساجد على اتساع رقعة الأمة الإسلامية، رغم جهود هؤلاء المستشرقين لإيجاد جذور لهذه التصاميم في عمائر المعابد والكنائس القديمة.

1-6 عناصر المسجد المعمارية المادية

يتشكل المسجد من عناصر معمارية مادية تعمل على تنمية وتوطيد العلاقات الاجتماعية من أهم هذه العناصر:

*** حيّز الصلاة**

ويسمى أيضا "بيت الصلاة" أو "الظلة " أو "الرواق" وهو الجزء المسقوف من المسجد، وظيفته أنه مكان الصلاة حيث يقف الناس على استواء تام في صفوف بمحاذاة القبلة.

رغّب الرسول صلى عليه والسلم في الصف الأول، فعن أبي أمامة رضى الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال :" إنّ الله وملائكته يصلون على الصف الأول: قالوا: يا رسول الله وعلى الثاني؟ قال: " وعلى الثاني ".(رواه أحمد و الطبراني)

كّل هذا يجعل تفضيلا لبعض الأشكال الهندسية عن الأخرى، فالشكل المستطيل وشبه المنحرف ونصف الدائرة (المواجهة بقطرها للقبلة) كّلها أشكال يمكنها تحقيق صفوف أولى أكثر طولا، إنّ شكل المسقط الأفقي يتحّدد بناء على مدى توافقه مع وظيفة الحّيز كمكان للصلاة في صفوف منتظمة باتجاه القبلة وبالتالي فإنه يتّم البحث عن الشكل المعماري للمسقط الذي يناسب هذه الوظيفة أولا ولا يمكن أن تنجح عملية التصميم لو أنّه أوجدنا الشكل أولا ثم بحثنا عن مدى توافقه مع نشاط الصلاة، ومن هنا فإنّه يمكن القول بأنّ عملية التصميم المعماري للحّيز الداخلي للمسجد هي عملية ذات اتجاه واحد تهتّم بالوظيفة أولا، بمعنى أن التصميم يتّم من الداخل إلى الخارج وليكن الشكل الخارجي الذي يغّلف هذه الوظيفة على أي صورة طالما أنّه في إطار منهج وقوف المصلين بهيئة خاصة أثناء الصلاة(نوبى محمد حسين، 2002، ص 53-55).

*** الصحــن**

الصحن هو الجزء غير المسقوف، وقد خلط البعض بين صحن الجامع وحرم الجامع، ولكن الفقهاء فّرقوا بينهما، فصحن المسجد ما يوجد بداخل جدرانه من فناء غير مسقوف، وأمّا حرم المسجد فهو المنطقة المحيطة به من مبان ملاصقة لجدرانه أو رحبات خارجها، وقد اشترطوا فيها النظافة وحّرموا الاتجار فيها لأن ذلك يشوب نظافة المسجد وجلاله ولأن الصلاة قد تمتّد إليها في أيام الجمع والأعياد إذا ازدحم الجامع. (حسين مؤنس،1981، ص62)

عندما بنى النبى صلى الله عليه و سلم مسجده الشريف في المدينة جعل له ظلتين: ظلة القبلة (الجنوب) وظلة الشام (الشمال) وجعل بين هاتين الظلتين رحبة تفصل بينهما وهذه الرحبة هي التي تحولت في المساجد الأخرى إلى ما هو معروف باسم " الصحن" إذ منه يدخل النور إلى بيت الصلاة، وكذلك فإنه من هذا الصحن يدخل الهواء إلى ذلك المكان عند اكتظاظه بالناس فـي أوقات الصلاة .

ولمن نادى بضرورة إلغاء هذا الفراغ المعماري نتيجة ضيق المساحات المخصّصة لبناء المساجد يجيب ابراهيم عبد الباقي (1968 :20) بقوله:"إذا كان المسجد يمثّل مركز الالتقاء الروحي والثقافي للسكان، وساحة المسجد مقّر لتجمعات السكان لممارسة أنشطتهم الاجتماعية والجماعية، وملتقى للجماهير لتلقي توجيهات الحاكم أو الولي ومادامت المسجد يكّون هذا الجزء الهام من الكيان الاجتماعي للمدينة العربية فيجب إعطاءه الاعتبار الكامل في تخطيطها العام بحيث لا تقتصر وظيفة المسجد على كونه مكان للعبادة فقط بل مركزا للنشاط الثقافي والاجتماعي للسكان.

*** المكتبــة**

نشأت فكرة المكتبة متطورة عن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يمثّل أول مدرسة في الإسلام لتعليم المسلمين مبادئ الدين الحنيف، وقد سار من بعده العديد من بناة المساجد ولا يوجد حّد أدنى أو أقصى لمسّطح المكتبة إذ أن ذلك يتوقف على عدد الكتب المتاحة بالمسجد ومسطح المسجد، وقد أوصت بعض الدراسات أن لا يقل مسطحها عن 9 م مربع للمسجد المحلي و16 م مربع للمسجد الجامع أمّا موقع المكتبة فيمكن أن يرتبط مباشرة

ببيت الصلاة ويجوز أن ينفصل عنه سواء في نفس الطابق أو أسفل منه مع توفير الإضاءة والتهوية المناسبية(نوبي محمد حسن، ص89).

2-6 الطقوس التعبديـة في المسجد

يقوم المؤمن فـي المسجد بعبادات يتضاعف أجرها لما في هذا المكان من سكينة تربط العبد بخالقه في مناسك تغّذي روحه المطمئّنة لأجواء التعّبد والإخلاص بالنيّة لله في الصلاة وتلاوة القرآن والذكر والاعتكاف وكلها نشاطات روحية تعبدية جماعية تصل بين أفراد الجماعة وتقوي أواصر الترابط بينها، ومن هذه الشعائر نذكر ما يلي:

1-2-6 الصلاة

تعني الصلاة لغة الصلة والدعاء والاستغفار (جواد علي، 2007 ، ص7) وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: {هو الذي يصّلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النّور وكان بالمؤمنين رحيما} (الأحزاب:43). وبمعنى الصلاة على النبّي، جاء قوله تعالى: { إنّ الله وملائكته يصّلون على النبّي} (الأحزاب:56).

أمّا اصطلاحا فهي تعني الشعيرة العبادية المفروضة من خلال نظام مخصوص قوامه نيّة قاصدة إلى العبادة وأقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمه بالتسليم(الزحيلي وهبة،1998، ص501).

تأتي الصلاة في المرتبة الثانية بين أركان الإسلام الخمسة والأولى في العبادات العملية، وهي عماد الدّين لقوله تعالى: { إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري } (طه:14)

وقد توّعد الله تاركي الصلاة والمتهاونين فيها لقوله تعالى:{ فويل للمصّلين الذين هم عن صلاتهم ساهون } (الماعون:4-5) وقوله: { ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصّلين } (المدثر:42-43)

والصلاة فريضة لا تسقط عن المسلم في أيّ حال من الأحوال مادام يعي ويعقل، فهو يؤدّيها قائما، فإن لم يستطع فجالسا، فإن لم يستطع فعلى جنب، فإن لم يستطع أومأ إيماءا، وقد أقيم التيّمم لها مقام الوضوء بالماء في حالة فقده، كما تقام في أيّ مكان تتوّفر فيه شروط الطهارة ، ولم يسقطها الله على المسلمين حتى في أحلك الظروف وهو موقف الحرب فهذه الأهمية

البالغة للصلاة هي التي أكسبت المجسد أهمّيته باعتباره المكان الذي تؤدى فيه تلك الفريضة العظيمة وذلك الركن الركين من أركان الإسلام(نوبي محمد حسن، 2002، ص 28).

إن للصلاة أهداف ومقاصد، فهي تنّمي الطاقة الروحية لدى الفرد وتربط صلته به سبحانه وتعالى وتعّزز التدّين وتحقق التوازن في الشخصية وترتقي بالفرد إلى مراتب العبودية لله وتنّمي روح السكينة والطمأنينة عنده وتوّظف طاقته الروحية لمواجهة صعوبات الحياة(أحمد العامري،1997، ص26).

لقد حدّدت هدى درويش(2006، ص 290- 292) لشريعة الصلاة أبعادا اجتماعية تمثلت فيما يلي:

* **الطهارة:** تعتبر الطهارة واجبا أساسيا يجمع بين طهارة الجسد وطهارة القلب، فالوضوء واجب أساسي للصلاة يتّم بالماء في كّل صلاة ويكون بغسل الوجه واليدين ومسح الرأس ثم غسل الرجلين إلى الكعبين، كما يراعى التثليث في الغسل، وهنا يمكن لمسألتي الطهارة والوضوء أن تؤديا دورا اجتماعيا مهّما من خلال ما سيظهر على المظهر الخارجي للفرد من نظافة وتطّهر مستمر-خمس مرات في اليوم- يؤّثر إيجابا في صّحة الجسد وفي نظرة الآخرين، كما أنّ الطهارة الروحية تُدخل الطمأنينة في نفس المصّلي وتبعده عن رذائل النفس من الحسد والبغض والنفاق والغيرة وغيرها، مّما يكون له تأثير على علاقاته وسلوكياته مع الغير.

* **التوجه إلى القبلة:** إنّ المغزى الاجتماعي من فكرة القبلة أو توجيه نظر المجموعة إلى وجهة معيّنة محدّدة يساهم في خلق رؤية موّحدة واتجاه موحد، كما يعين على تنمية روح الانسجام والتوافق والتوّجه الخالص، وهذا بدوره يساهم في خلق اللحمة الاجتماعية المتضامنة التي توّحد المجموعة وتوّجهها لغاية موّحدة ومعبود واحد.

* **الأذان:** والأذان هو الآخر يمّثل بعدا من أبعاد الصلاة الاجتماعية فهو ينادي إلى تجّمع الناس، وإلى توّجههم إلى مكان واحد للقيام بالصلاة، وفي استجابتهم للنداء يلتقون ويحّي بعضهم بعضا، وهذا فيه تعميق للصّلات الاجتماعية، وتماسك للمجتمع، مّما يساعد على تنمية الترابط الاجتماعي والصّلات بين أفراد المجتمع.

* **عدد أوقات الصلاة:** تعرف في الدّين الإسلامي مواقيت الصلاة الخمس وهي الفجر والظهر والعصر والمغرب ثم العشاء، بحيث يؤّدي هذا الالتقاء المتواصل في أوقات محّددة

ومستمّرة ، إلى تنمية الكثير من العلاقات الاجتماعية والترابط بين المصلين، وتعزيز الصداقات وتكوين الحّس الجماعي، وقد يزيد ذلك في التعارف والتعامل والتفاعل والتضامن والاهتمام بشؤون بعضهم البعض.

* **صلاة الجماعة :** تعّد صلاة الجماعة أفضل من الصلاة الفردية، ولها فضل عظيم لأنّها تعمل على تحقيق وظيفة الإتحاد والتضامن والترابط بين المسلمين، فيوم الجمعة هو اليوم المفّضل لتجّمع المسلمين بل يعتبر عيدا أسبوعيا متجّددا يلتقي فيه الناس ليجّددوا إيمانهم وصلاتهم الاجتماعية.

***الدعاء:** يمكن اعتبار الدعاء من أهّم الوسائل التي تنمّي الأخوة والترابط والتلاحم، وتنزع الغّل والتباغض والتحاسد بين المصلين، فعندما يعلم الإنسان أنّ أخاه المسلم يدعو له، ويلّح له في الدعاء فإنّ ذلك يقّويه، ويذّكره دوما أنّ هناك من يسانده، ويرفع أكّف الضراعة إلى الله داعيا بنصرته أو شفائه أو نجاحه، وهذا ينّمي الأخوة، ويبني الجماعة المتراصة المتحابة المتماسكة والمتكاثفة.

من جهته أخرى يرى محمد نجاتي (1989: 208) أنّ للصلاة مقاصد نفسية اجتماعية، فالوقوف أثناء الصلاة بخشوع تام من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس وراحة العقل، ولهذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي التي تحدثها الصلاة أثرها العلاجي الهام في تخفيف حّدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية، وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس فقد كان الرسول صلى لله عليه وسلم يقول لبلال رضي الله عنه حينما تحين أوقات الصلاة: " يا بلال أرحنا بالصلاة".

بالإضافة إلى كّل هذا فإن لصلاة الجماعة أثرا علاجيا هاما، فتردّد الفرد على المسجد لصلاة الجماعة يتيح له فرصة التّعرف بجيرانه وبكثير من الأفراد الآخرين مّمن يسكنون نفس الحّي الذي يسكن فيه، مّما يساعد على تفاعله مع الناس الآخرين وعلى تكوين علاقات اجتماعية سليمة وعلاقات صداقة وموّدة معهم، إن مثل هذه العلاقات الاجتماعية وعلاقات الصداقة والموّدة مع الآخرين تساعد على نمّو شخصية الفرد وعلى نضجه الانفعالي، كما تشبع حاجته إلى الانتماء الاجتماعي والتقّبل الاجتماعي مّما يؤّدي إلى الوقاية من القلق الذي يعاني منه بعض الناس نتيجة شعورهم بالوحدة والعزلة وعدم الانتماء إلى الجماعة.

من جهة أخرى فإن صلاة الجمعة تعلب دورا علاجيا ووقائيا حيث يستمع فيها المصلون إلى خطبة الجمعة التي يناقش فيها الإمام عادة بعض المشكلات الاجتماعية والحياتية التي يعاني منها الناس، فيقوم بشرح أسبابها وطرق علاجها، وقد يتناول بعض أنواع السلوكات الشاذة والمنحرفة، ويشرح أسبابها ويبّين وسائل التغّلب عليها، وهي بذلك تشبه إلى حّد ما الدور الذي يقوم به العلاج النفسي الجماعي التعليمي الذي قام به "كلابمان" (Klapman) (احمد العامري،المرجع السابق:291)

2-2-6 تـلاوة القـرآن في المسجـد

ومن ما روي في فضل قراءة القرآن ما جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول { الم } حرف ولكّن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ". (رواه الترميذي) (النووي،2004 ، ص361)

لقد جاء في فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن وتدريسه في المسجد قوله صلى الله عليه وسلم ": وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ". (رواه مسلم) (النووي، ص367)

6- 2-3 الاعتكـاف فـي المساجـد

الاعتكاف هو مكث مخصوص بنّية مخصوصة في مكان مخصوص وهو المسجد(السيد سابق،1997، ص433). لقد قال تعالى:{ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود.} (البقرة:125)

لا يقتصر الاعتكاف على الحرم الشريف بل يكون في كّل بيوت الله لقوله تعالى:{ وأنتم عاكفون في المساجد } (البقرة:187)

كما من هديه صلى الله عليه وسلم الاعتكاف بالمسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان النبّي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كّل رمضان عشرة أيام فلمّا كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما". (رواه البخارى) (السيد سابق، نفس المرجع:69).

4-2-6 الذكر في المسجد

الذكر هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والكمال والجمال. (السيد سابق، ص69)

قال تعالى: { ولذكر الله أكبر } (العنكبوت:45)، كما قال سبحانه: { فاذكروني أذكركم } (البقرة:152) ومّما جاء في فضل الذكر قوله سبحانه وتعالى: { فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسّبح له فيها بالغدّو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب.} (النور:36-37-38). والذكر في المساجد منه ما هو مأثور عن النبّي صلى الله عليه و سلم ومطلق في أيّ وقت في المسجد، ومنه ما هو محّدد بوقت معّين كالذكر بعد الصلوات بالأذكار المعروفة الواردة عن النبّي صلى الله عليه وسلم(نوبي محمد حسن، ص33).

3-6 المعاملات الاجتماعية في المسجد

إنّ أصل تشريع العبادات هو تهذيب النفوس وإقرار مبدأ المساواة وتربية روح الاجتماع وتقوية أواصره، وهي إلى جانب هذا تدفع الإنسان إلى أن يتعامل مع أخيه الإنسان كما أراد المعبود، ولمّا كانت الشريعة الإسلامية شريعة إلهية قويمة، المعبود فيها هو الله تعالى والعابد هو المؤمن الممتثل لأوامر الله المجتنب لنواهيه كان لابد لعبادته أن تكون شاملة لذلك البعد الاجتماعي في المعاملة مع الآخر، هذه المعاملة التي يمكننا إجمالها في العناصر التالية:

* **التحّية ورّد السلام:** من آداب المجتمع الإسلامي إفشاء السّلام وذلك بتحيّة خاصة امتاز بها هي تحيّة الإسلام" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ، قال تعالى: {وإذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها إنّ الله كان على كلّ شيء حسيبا} (النساء: 86) ومعلوم ما لطرح السلام من آثار إيجابية تنّعكس إيجابا على الأفراد والمجتمع، ففيه تقوية لأواصر الإيمان والمحبّة بين الأفراد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم "(رواه الترمذيّ) (النووي، ص319).

ويصحب التحية وإفشاء السّلام طلاقة الوجه لما في ذلك من توّجه نحو الآخر ودعوة للالتقاء والتقارب والمحبة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرّن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"(رواه مسلم) (النووي، ص275).

* **التزّين والتطيّب**: يحمل المسجد المسلم على أخذ زينته وهو ذاهب إليه لقوله تعالى:{يا بني ءادم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين } (الأعراف: 31)، قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة – والزينة اللباس وهو ما يواري السوءة وما سوى ذلك من جيّد البز والمتاع- فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كّل مسجد" . قال ابن كثير: "ولهذه الآية وما ورد في معناها من السّنة يستحّب التجّمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، ويستحّب الطيب لأنّه من الزينة، والسواك لأنّه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض(علي عبد الحليم محمود، 1976، ص 25).

وعن اختيار أحسن الهيئة وأجمل الصورة كانت العديد من الحوادث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك ففي حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجل ثم رجع، فقال صلى الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟"(رواه مالك في موطأه) (أبو النصر أحمد الحسيني، 1988، 50).

* **الإفساح في المجالس**: قال تعالى:{ يأيّها الذين ءامنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير} (المجادلة: 11) إنّ الإفساح في المجالس من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في مجتمعنا في الأماكن العامة مثل المسجد،.ومن آثار ذلك نشر الألفة بين الأفراد وتعميق معاني الأخوة والإتحاد(عماد عادل أبو مغلي، ص 212).

* **عدم تخطي الرقاب**: ومن آداب المسجد وآداب المعاملة فيه أن يجلس الإنسان في المسجد حيث ينتهي به المجلس ولا يتخّطى رقاب الناس، روى الإمام البخاري بسنده عن أبي واقد الليثي قال:" بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فأقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فأمّا أحدهما فرأى فرجة فجلس، وأمّا الآخر فجلس خلفهم، فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال": ألا أخبركم عن الثلاثة: أمّا

أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأمّا الآخر فستحيا، فاستحيا الله منه وأمّا الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه ." (علي عبد الحليم محمود، 1976، ص 62)

* **خفض الصوت والإعراض عن اللغو وفحش القول:** قال تعالى:{ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللّغو معرضون } (المؤمنون : 1-3) إن لغو الحديث سبب رئيس في الإهذار الذي يكثر معه الخطأ وتتبّع العورات والاستهزاء بالآخرين، ونشر الفاحشة وتنمية الإشاعة، الأمر الذي يتسّبب في هتك أواصر الترابط بين الأفراد، ثّم أنّ لغو الحديث يوّرث صاحبه بذاءة بالرأي ونفورا عاما عنه من قبل الآخرين وأخذ كلامه على محمل الكذب وعدم الدراية، لهذا اعتبر الإعراض عن هذه الصفة من المقّومات المدّعمة للوحدة والترابط، قال تعالى:{ والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراما} (الفرقان: 72). إنّ قول الحق وعدم الزور من صفات المؤمن ولمّا كان اللّغو مدعاة للكذب والكذب أساس الزور قرن هذا بهذا ونهي عن الاثنين لذات السبب وأمروا أن يمّروا بأهل اللّغو كراما مسرعين معرضين عنهم لا يجالسونهم. (عماد عادل أبو مغلي، ص 274)

***التعارف والتآلف:** يقول الحّق تبارك وتعالى: { يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير} (الحجرات ك 13) والمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي ايماني لا ينسى، ذلك أنّ المصّلين في الحّي الواحد يلتقون في المسجد في الصلوات وفي الدرس، وبعد فترة قصيرة يصبح أفراد الحّي الواحد كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضا ومصافحة بعضهم بعضا، والمقصود من التعارف هنا هو تقوية أواصر الأخّوة الإيمانية التي يترّتب عليها العمل بكل ما يقوّيها من المحبّة والتزاور وعيادة المريض، وإجابة الدعوة وإغاثة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقول الحق، والعفو والسماحة ودفع السيّئة بالتي هي أحسن والإيثار وحسن الظن، ونصرة المظلوم، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة، وتعليم الجاهل والإحسان إلى الجار وأداء الحقوق إلى أهلها والنصح لكلّ مسلم وهذا كله منطلقه بيت الله(نوبي محمد حسن، ص116).

***إطعام الغريب:** ومن المعاملات الطيّبة التي تربط بين أفراد الحّي وتحوي المحتاج والغريب هي الإطعام في المسجد، وكانت هذه الصّفة منذ القدم يتمّيز بها المجتمع الإسلامي، ففي الفتوحات المكيّة يقول محي الدين بن عربي:" إنّه ما كان يقصد في أيّ بلد إلّا إلى الجامع ليلقى أمثاله من الغرباء والسوّاحين ويأنس بهم،" ويقول:" إنّهم كانوا إذا خرجوا من صلاة

العشاء وجدوا رجالا كثرين يحملون قصاعا من الطعام يرسلها أهل الخير للغرباء.وما نزلت بلدا إلّا وجدت فيه هذه الخصلة اللطيفة من خصال أهل القبلة، وما وجدتها عند غيرهم"(حسين مؤنس، ص 34).

خاتمة

بهذا تميّز المسجد منذ القدم بعمارته المادية والروحية التي تعكس منهجا ربانيا في حماية العلاقات الاجتماعية بأبعادها المتمثلة في المساندة الاجتماعية والتعاطف اللذان لا يتّمان إلّا من خلال بعد ثالث هو الاتصال، تلك العملية التي تنقل الحياة الوجدانية والمتضامنة للإنسان نحو أخيه الإنسان والتي تؤثر إيجابا على سلوكه وعلاقاته الاجتماعية.

المراجـع باللغـة العربيـة

1- ابراهيم أبو عرقوب،(1993): الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

2- ابراهيم عبد الباقي، (1986): المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر.

3- أبو النصر أحمد الحسيني، (1988): الدين والجمال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر.

4- أحمد العامري، (1997): الأبعاد التربوية للصلاة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط- المملكة المغربية.

5- بشير معمرية، (2007): القياس النفسي وتصميم أدواته، منشورات الحبر، ط2.

باهر اسماعيل فرحات، (2007) العلاقة التبادلية بين السلوك الانساني والبيئة المادية في الفراغات العمرانية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التخطيط والتصميم العمراني، جامعة عين شمس، مصر.

6-توفيق حمد الجواد،(1986):العمارة الإسلامية فكر وحضارة،مكتبة الأنجلو المصرية، ط3

7- جواد علي، (2007): تاريخ الصلاة في الاسلام، دار الجمل للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

8- حسن شحاتة سعفان، (1955): فلسفة العلاقات الاجتماعية والقياس الاجتماعي، مطبعة دار التأليف، مصر، ط.1

9- حسين عزت عبد الحميد محمد، (1996): المساندة الاجتماعية وضغط العمل وعلاقة كل منهما برضا المعلم عن العمل، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق.

10- حسين فايد،(1998): الدور الدينامي للمساندة الاجتماعية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد (2) رابطة االأخصائيين المصريين النفسيين المصرية(رانم)، القاهرة.

11- حسين مؤنس، (1981): المساجد، عالم المعرفة، الكويت.

12- الزحيلي وهبة، (1998): التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق- سوريا، ط2

13- السيد سابق، (1997): فقه السنة، المجلد 2، الفتح للإعلام العربي، القاهرة-مصر.

14- السيد علي شتا، (2000): التفاعل الاجتماعي والمنظور الظاهري، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط.1

15- الشناوي محمد محروس وعبد الرحمان محمد السيد(1994): المساندة الاجتماعية والصحة النفسية، مراجعة نظرية ودراسات تطبيقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر،الطبعة1

16- عبد العال السيد محمد عبد المجيد، (2002): فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية وتقدير الذات لدى عينة من معلمي ومعلمات رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، مجلة علم النفس المعاصر والعلوم الانسانية، المجلد 13، ج.2

17- عبد العزيز خواجة (2007)، أنماط العلاقات الاجتماعيةفي النص القرآني- دراسة سوسيولوجية لعملية الاتصال في القصة القرآنية، قصة موسى تطبيق، تقديم محمد موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسة والنشر، سورية- دمشق، ط1 .

18- عدنان يوسف العتوم وآخرون، (2011): التواصل الاجتماعي من منظور نفسي اجتماعي ثقافي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن.

19- عزت الدَين الزياتي، (2008): التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي مهارات: تناول الكلمة-تقديم العروض-المقابلة-الإستماع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب.

20- عصام سليمان الموسى، (1998): المدخل في الاتصال الجماهيري، مكتبة الكتاني، اربد- الأردن

21- علاء الدين كفافي(1999): الإرشاد والعلاج النفسي الأسري المنظور النسقي الإتصالي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.1

22- علي عبد السلام علي، (2005): المساندة الاجتماعية وتطبيقاتها العملية في حياتنا اليومية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط.1

23- عماد عادل أبو مغلي، (2009): العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد- الأردن، ط1.

المراجع باللغة الأجنبية:

24- Bouguergoura. Cherif.(2006): complexe de liens et integration sociale en Algérie contemporaine, Actes du 4éme colloque national de sociologie, Departement de sociologie, Université d'Alger.

25- Cusset, Pierre-Yves.(2007): le lien social, Coll, «128», Nathan,Paris.

26- Cutrona, C.(1996) Social support, Sage Publication, vol 1/38 , London.

27- flahault, François.(2008): comment l'homme peut-il être à la fois égoïste, bon et méchant? La découverte/ revue du mauss, /1-n31

28- Dartiguenave et al,(2012): Repenser le lien social, de Georg Simmel à Jean Gagnepain à la sociologie clinique, in Pensée plurielle, 1- N°29.

29- Décety, Jean(2010) : Mécanismes new physiologique impliqués dans l'empathie et la sympathie, Revue de neuropsychologie, 2-vol/2 .

30- Gergen K.J. & Gergen M.M.(1984): Psychologie sociale, traduit par Sylvie Jutras, Claude Champagne et Claude Hamel, Edition Etudes vivantes, Montréal.

31- House, J.S, Umberson, D. and Laudis, K,R.(1988): structures and processes of social support, Annual Review of social , N°14, internal-external control as a moderator variable, Journal of psychosomatic Research, vol22.

32- Kirshner, Lewi.A,(2004): Kohut et la science de l'empathie, revue Française de psychanalyse, vol 3/ 68, Paris.

33- Lepron, Evelyne (2009):.Bases cérébrales de la communication inter-personnelle, empathie et émotion : applications à la maladie de Huntington, thèse en vu de l'obtention du doctorat, Université de Thoulouse- Paul sabatier, Discipline ou spesialité : Neurosciences.

34- Moscovici, Serge(2000): Psychologie sociale des relations à autrui, Nathan, Paris.